AL-SABAH
الصباح
الإسلامية

No. 4023 | الخميس | 5 ذي الحجة 1442 هـ | 15 يوليو 2021 م | السنة الرابعة عشرة

Alsabah Media www.alsabahpress.com

فضل العشر الأول من ذي الحجة

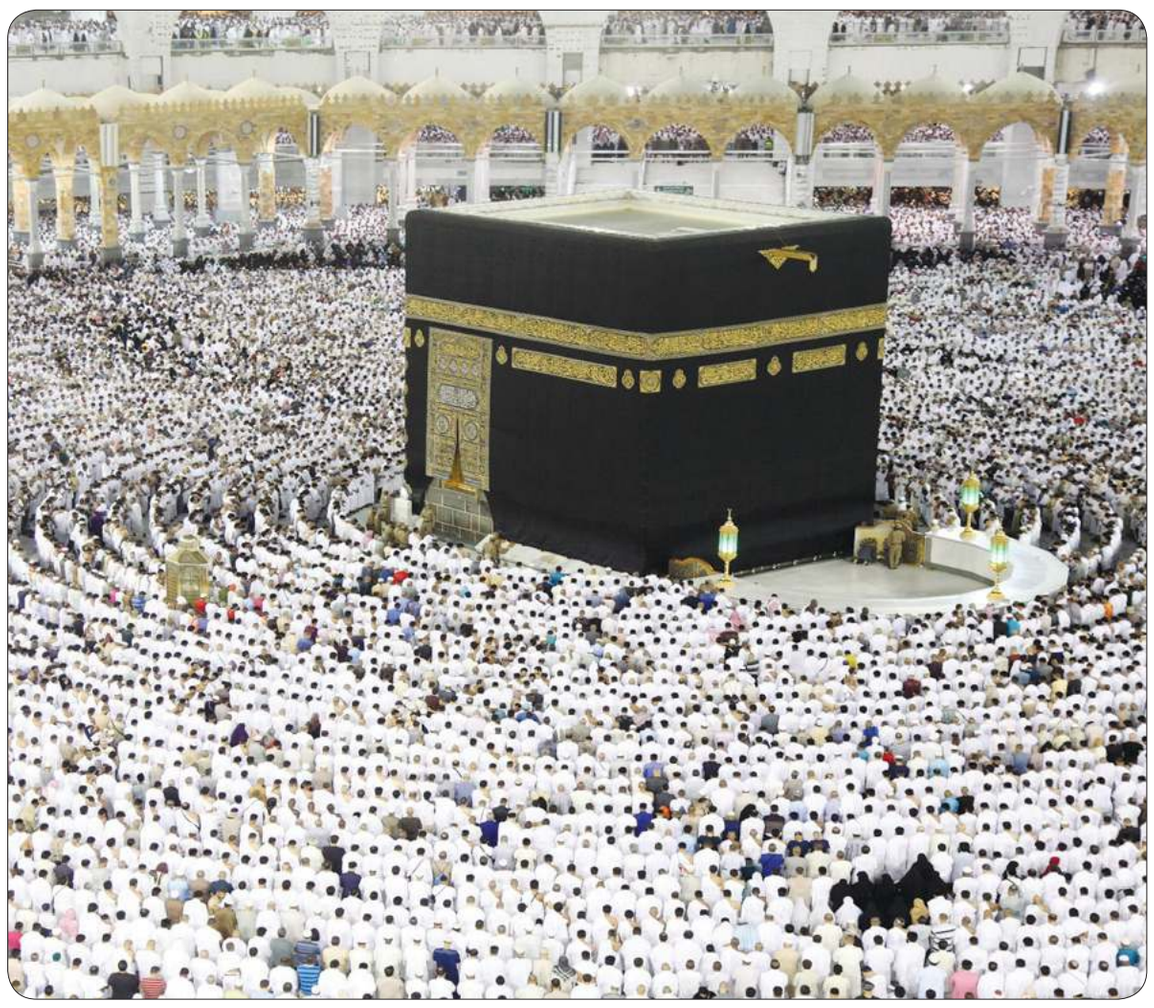

د. راشد سعد العليمي

من فضل الله تعالى على عباده أن جعل لهم مواسم للطاعات، يستكثرون فيها من العمل الصالح، ويتنافسون فيها فيما يقربهم إلى ربهم، مناسبة لقصر آجالهم مقارنة مع الأمم السابقة، والسعيد من اغتنم تلك المواسم، ولم يجعلها تمر عليه مروراً عابراً.

ومن هذه المواسم الفاضلة أيام عشر ذي الحجة، وهي أيام شهد لها الرسول بأنها أفضل أيام الدنيا، وحث على العمل الصالح فيها؛ بل إن لله تعالى أقسم بها، وهذا وحده يكفيها شرفاً وفضلاً، إذ العظيم لا يقسم إلا بعظيم، قال الله تعالى في سورة الفجر (وَالفَجْرِ × وَلَيَالٍ عَشْرٍ).. وورد في التفسير أنها العشر الأول من شهر ذيَ الحجةً، وهو القول الراجح.

وهذا يستدعي من العبد أن يجتهد فيها، ويكثر من الأعمال الصالحة، وأن يحسن استقبالها واغتنامها، وقد ورد في فضلها حديث رواه البخاري يقول النبي: "ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله من هذه الأيام"، يعني العشر الأوائل من ذي الحجة! قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال:" ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بماله ونفسه ثم لم يرجع من ذلك بشيء".

وعلينا جميعاً أن نحرص على اغتنام أوقات هذه الأيام العشر، مثلما كنا في حرص في رمضان والليالي العشر الأخيرة منه على فعل الخيرات، فحري علينا أن نفعل مثل هذا في هذه الأيام المباركة.

ويرد على الذهن سؤالا مهما، إذا كان العمل فيها بهذه المنزلة العالية، فما هو نوع العمل؟

والجواب نفهمه من بشارة النبي فيما يتعلق بشرف هذه الأيام، ومن ثم بتيسيره لنا بعدم تحديد عملا محددا قد يتيسر لبعضنا فعله، ولربما يكون فيه حرج على آخرين، فليس هناك نص يخصص عملاً معيّنا لنيل هذه المنزلة، فكل الطاعات تدخل في هذا المعنى، والصيام.

ومع هذا فقد دلنا النبي على أيسر الأعمال في أدائها، وهي من أعظمها في التعلق والمواظبة عليها، ألا وهي الذكر والدعاء، فقد ورد في فضل الذكر بصيغة «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» حديث رواه الطبراني بإسناد جيد، بل جاء فيمن يريد أن يضحّيَ أنه يُسن له عدم قصّ الشعر والظفر، تشبُّهًا إلى حدٍّ ما بالمحرمَين بالنسك، وأن كل جزءَ من بدنه يعتق بالأضحية.

ثم يقال: لماذا كان لهذه الأيام هذا الفضل العظيم؟ قال العلماء: لأنها متصلة بالحج، وفي نهايتها يوم عرفة، وفضل هذا اليوم عظيم، وكذلك فضل يوم العيد، فهو أعظم حرمة عند الله؛ لأن فيه الحج الأكبر، وكذلك من دواعي التفضيل العمل على إشاعة الأمن في البلاد عامة، لتهيئة الجو للمسافرين والحجاج، وكذلك لمن خلفوهم وراءهم، وذلك بالانشغال بالعبادة والذكر، وكذلك هذه الأيام فرصة لأداء كل العبادات من صلاة وصيام وصدقة وحج.

بأي شيء نستقبل عشر ذي الحجة؟

حري بالمسلم أن يستقبل مواسم الطاعات عامة، ومنها عشر ذي الحجة بأمور مباركة منها:

1 – التوبة الصادقة:

فعلى المسلم أن يستقبل مواسم الطاعات عامة بالتوبة الصادقة والعزم الأكيد على الرجوع إلى الله، ففي التوبة فلاح للعبد في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ (النور:31)

2 – العزم الجاد على اغتنام هذه الأيام:

فينبغي على المسلم أن يحرص حرصاً شديداً على عمارة هذه الأيام بالأعمال والأقوال الصالحة، ومن عزم على شيء أعانه الله وهيأ له الأسباب التي تعينه على إكمال العمل، ومن صدق الله صدقه الله، قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ العنكبوت

3 – البعد عن المعاصي:

فكما أن الطاعات أسباب للقرب من الله تعالى، فالمعاصي أسباب للبعد عن الله والطرد من رحمته، وقد يحرم الإنسان رحمة الله بسبب ذنب يرتكبه÷ فإن كنت تطمع في مغفرة الذنوب والعتق من النار فأحذر الوقوع في المعاصي في هذه الأيام وفي غيرها؟ ومن عرف ما يطلب هان عليه كل ما يبذل.

فاحرص أخي المسلم على اغتنام هذه الأيام، وأحسن استقبالها قبل أن تفوتك فتندم، ولات ساعة مندم.

وللتذكير بأهمية هذه الأيام المباركة واجب على المسلم قراءة ما يتعلق عن فضلها، ومن ذلك:

1 – أن الله تعالى أقسم بها:

وإذا أقسم الله بشيء دل هذا على عظم مكانته وفضله، إذ العظيم لا يقسم إلا بالعظيم، قال تعالى (وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ . والليالي العشر هي عشر ذي الحجة، وَهذا ما عليهً جمهورً المفسرين والخلف، وقال ابن كثير في تفسيره: وهو الصحيح.

2 – أنها الأيام المعلومات التي شرع فيها ذكره:

قال تعالى: ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ [الحج:28] وجمهور العلماء على أن الأيام المعلومات هي عشر ذي الحجة، منهم ابن عمر وابن عباس.

3 – أن رسول الله شهد لها بأنها أفضل أيام الدنيا:

فعن جابر عن النبي قال :(فضل أيام الدنيا أيام العشر ـ يعني عشر ذي الحجة ـ قيل: ولا مثلهن في سبيل الله؟ قال: (ولا مثلهن في سبيل الله إلا رجل عفر وجهه بالتراب). رواه البزار وابن حبان وصححه الألباني

4 – أن فيها يوم عرفة :

ويوم عرفة يوم الحج الأكبر، ويوم مغفرة الذنوب، ويوم العتق من النيران، ولو لم يكن في عشر ذي الحجة إلا يوم عرفة لكفاها ذلك فضلا.

5 – أن فيها يوم النحر :

وهو أفضل أيام السنة عند بعض العلماء، قال : (أعظم الأيام عند الله يوم النحر، ثم يوم القر) رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني.

6 – اجتماع أمهات العبادة فيها :

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة لمكان اجتماع أمهات العبادة فيه، وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج، ولا يتأتى ذلك في غيره).

7 – العمل أعظم أجرا، وأكثر حبا لله تعالى:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام ـ يعني أيام العشر ـ قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء) [رواه البخاري].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (كنت عند رسول الله قال: فذكرت له الأعمال فقال: ما من أيام العمل فيهن أفضل من هذه العشر ـ قالوا: يا رسول الله، الجهاد في سبيل الله؟ فأكبره. فقال: ولا الجهاد إلا أن يخرج رجل بنفسه وماله في سبيل الله، ثم تكون مهجة نفسه فيه). رواه أحمد وحسن إسناده الألباني.

فدل هذان الحديثان وغيرهما على أن كل عمل صالح يقع في أيام عشر ذي الحجة أحب إلى الله تعالى من نفسه إذا وقع في غيرها، وإذا كان العمل فيهن أحب إلى الله فهو أفضل عنده. ودل الحديثان أيضاً على أن العامل في هذه العشر أفضل من المجاهد في سبيل الله الذي رجع بنفسه وماله، وأن الأعمال الصالحة في عشر ذي الحجة تضاعف من غير استثناء شيء منها.

من الأعمال المستحبة في عشر ذي الحجة

إذا تبين لك أخي الكريم فضل العمل في عشر ذي الحجة على غيره من الأيام، وأن هذه المواسم نعمة وفضل من الله على عباده، وفرصة عظيمة يجب اغتنامها، إذ تبين لك كل هذا، فحري بك أن تخص هذه العشر بمزيد عناية واهتمام، وأن تحرص على مجاهدة نفسك بالطاعة فيها، وأن تكثر من أوجه الخير وأنواع الطاعات، فقد كان هذا هو حال السلف الصالح في مثل هذه المواسم، يقول أبو ثمان النهدي: «كانوا ـ أي السلف ـ يعظمون ثلاث عشرات: العشر الأخير من رمضان، والعشر الأول من ذي الحجة، والعشر الأول من محرم».

ومن الأعمال التي يستحب للمسلم أن يحرص عليها ويكثر منها في هذه الأيام ما يلي:

1 – أداء مناسك الحج والعمرة.

وهما افضل ما يعمل في عشر ذي الحجة، ومن يسر الله له حج بيته أو أداء العمرة على الوجه المطلوب فجزاؤه الجنة؛ لقول النبي : (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) متفق عليه.

والحج المبرور هو الحج الموافق لهدي النبي ، الذي لم يخالطه إثم من رياء، أو سمعة، أو رفث، أو فسوق، المحفوف بالصالحات والخيرات.

2 – الصيام :

وهو يدخل في جنس الأعمال الصالحة، بل هو من أفضلها، وقد أضافه الله إلى نفسه لعظم شأنه وعلو قدره، فقال سبحانه في الحديث القدسي: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به). متفق عليه.

وقد خص النبي صيام يوم عرفة من بين أيام عشر ذي الحجة بمزيد عناية، وبين فضل صيامه فقال: (صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده). رواه مسلم.

3 – الصلاة :

وهي من أجل الأعمال وأعظمها وأكثرها فضلاً، ولهذا يجب على المسلم المحافظة عليها في أوقاتها مع الجماعة، وعليه أن يكثر من النوافل في هذه الأيام، فإنها من أفضل القربات، وقد قال النبي فيما يرويه عن ربه: (وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه) رواه البخاري.

4 – التكبير والتحميد والتهليل والذكر:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي قال: (ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد) رواه أحمد. وقال البخاري: كان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرها. وقال: «وكان عمر يكبر في قبته بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون، ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيراً. وكان ابن عمر يكبر بمنى تلك الأيام وخلف الصلوات وعلى فراشه، وفي فسطاطه ومجلسه وممشاه تلك الأيام جميعا» .

5 – الصدقة :

وهي من جملة الأعمال الصالحة التي يستحب للمسلم الإكثار منها في هذه الأيام، وقد حث الله عليها فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون﴾ [البقرة:254]، وقال : (ما نقصت صدقة من مال) رواه مسلم.

6 – الأضحية:

وهي: ما يذبحه الأحياء من بهيمة الأنعام في أيام الأضحى تقرباً إلى الله عز وجل، وتعد من الأعمال الجليلة المباركة التي ذكرنا الله بها في كتابه العزيز بقوله: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (1) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (2)﴾، وأوصى بها النبي بقوله: (ما عمل ابن آدم يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم، وإنه ليؤتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع بالأرض، فطيبوا بها نفسا.). رواه الترمذي.

ومع الحرص العى الأضحية داخل البلد وهو الأفضل، ويجوز خارجها، إلا أن على المسلمين أن يحرص عليها وفق العلم الشرعي المرتبط بإخلاص العمل مع الله سبحانه.